# حضارة العراق

تأليف

نخبة من الباحثين العراقيين

Bibliotheca Alexandrina

الجزء الأول

بغداد ١٩٨٥

# العصور القديمة

(١)

# مقدمة

د . نزار الحديثي

انها المرة الاولى في تاريخ الثقافة في الوطن العربي ، يصدر كتاب بهذا العنوان يتجه للرأي العام ، بمثل هذا الشمول ، وفي ذات الوقت يعبر عن وجهة نظر تاريخية تعرضت للحجب المستمر في التاريخ الحديث والمعاصر من اجهزة ثقافية واكاديمية كانت مدفوعة بموقف يختلط فيه الحماس للحضارة الغربية بنظرة استعلائية استعمارية هدفها فرض نظرية السيادة الاوربية على العالم ، واذا كانت الصحوة السياسية لشعوب الحضارات القديمة قد كسرت جدار الامن السياسي للهيمنة الاوربية ، فالوقت الان ملائم لكسر جدار الطمأنينة الثقافية . وكتاب حضارة العراق صاحب هذه الريادة في الثقافة يسجل الابداع الحضاري العراقي عبر زمن الوعي الانساني منذ بزوغ فجر الحضارة لاول مرة في تاريخ البشرية في بلاد وادي الرافدين ، وقد حظيت هذه الموسوعة الحضارية بجهد لمتخصصين عراقيين تعيش في ذاكرتهم صورة التخريب الذي تعرض له تاريخ العراق ودوره الحضاري بشكل خاص والكيفية التي حولت بها المبتكرات الحضارية الى مجرد

مظاهر صامتة في المتاحف ، مجردة من أي ترابط ذاتي او موضوعي يضعها في موقعها الطبيعي بأعتبارها مبتكرات شعب اعتاد العمل الحضاري ، تنتظمها منظومة متكاملة تمتاز بالتنوع والوحدة في ذات الوقت ، تقف وراءها نظرة متكاملة الى الحياة وتستند الى حوافز الارضاء الروحي والمادي لحاجة اجتماعية قائمة متجددة ، فهي لهذا مظاهر ابداع في سياق زمني متصل تملأه عملية اجتماعية متكاملة الجوانب لمجتمعات متصلة يعبر تمازجها الحضاري والتأريخي عن وحدة خصائصها ، لها مسرحها الطبيعي الذي هو العراق اولا ضمن الوطن الحضاري الاكبر الوطن العربي .

هذا الوعي هو الذي حدد منهجية موسوعة حضارة العراق بتناولها العصور التأريخية افقيا والحرص على كشف شمولية الابداع الحضاري في الحقبة المعينة ، وعموديا في كشف تواصل الحقب الحضارية بعضها بالبعض . ان هذه المنهجية تضع مظاهر الحضارة ومبتكراتها ضمن سياقها الذاتي والموضوعي ، فتكشف قدرتها على الانسياح من الوطن القائد الى عموم الوطن الحضاري ومن العقل المبتكر الى النسيج الاجتماعي الذي يحتضنه ، وتكشف ايضا قدرتها على التوالد وخلق اجيال جديدة للمبتكر الحضاري نفسه .. اذ ان قيمة الحضارة ليست في قيمتها الجمالية والابداعية حسب ، انما في قدرتها على التأثير والتوالد . ومع الوعي بأن هذه المنهجية تعنى بالسياق العام اكثر من عنايتها بتشريح المبتكر ذاته ، وتواكب استمرار العمل الحضاري واتصاله اكثر من الوقوف عند مظهر معين في عصر معين ، الا انها ايضا تعطي فرصة الوضوح الاكثر لما نريد قوله في هذا المجال ، وتثبّت الحقائق الكبيرة ، فوحدة التصور للحضارة تثير في نفس الوقت حاجات

متعددة الى البحث المتخصص للاجابة على بعض التساؤلات التي تظهر وهكذا يبدأ الهيكل يكتسي سدة الكمال ...

ان هذه المنهجية تمنحنا فرصة متابعة حضارة العراق من حيث نشأتها وعوامل النشأة ، ومواكبة تطور دور العراق الحضاري في اغناء الحياة الانسانية ، وقدرته على اداء هذا الدور القائد في الحضارة سواء في العصور القديمة أو في عصر الدولة العربية الاسلامية .

واذا كان مصطلح « الحضارة » جديداً على الفكر الغربي ، واهتماماته به ترجع الى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فأن هذا المصطلح كان أحد المفردات التي شغلت بال المفكر العربي سواء في تحديد مفهومه او بحث موضوعاته ومن البداية سجل مفكرونا الاساس النظري الموضوعي والفني لدراسة الحضارة عندما ربطوا بين الاستقرار والتحضر واعتبروا الاول اساسياً في نشأة الحضارة دون ان يهملوا ظروفه الطبيعية او تلك التي تختص بطبيعة الانسان .

هل حقيقة الحضارة في العراق هي « حلم الطبيعة » كما يقول اندريه ايمار وجانين اوبوايه ؟ ام انها شيء آخر ؟ « ارادة الانسان » الواقع ان الحضارة بنت عناصر وظروف موضوعية تقدم الطبيعة اساسياتها ، ويحوّل الانسان تلك الاساسيات من حالتها السلبية الى حالة ايجابية « حضارة » .. هكذا تبدو حضارة العراق . فالارض والماء والمناخ ليست حالة خاصة بالعراق انما حالة عامة طبيعية ، وهي عناصر تعمل وتؤثر بشكل مستقل ، ولكن الانسان الذي فرض عليها التوازن ، خلق من توازنها قاعدة للعمل الحضاري ، فحضارة العراق اذن ليست حلم الطبيعة انما ارادة الانسان ،

خاصة وان التاريخ هو محصلة ارادة الانسان ، هذا الانسان الـذي لم يستطع مقاومة اغراء الكون الممتد امامه فأصبح اسير ارتياده فأطلق العنان لخياله ولعقله ولسيفه ، لخياله يشق فضاءاته كلما ملىء فضاء اكتشـفه ، ولعقله يبتكر حاجاته في الحياة والارتياد ، ولسيفه يذلل العقبـات التي تعترض طريقه • غير ان هذا الانسان بقدر مابذل من جهد في مواكبة الكون الواسع بقدر ماكان واقعيا يدرك قيمة الحركة على الارض ، فهـو كان يدرك جيدا ان بين عظمته وبين الكون ثمة انجذاب فلم يستطع الا ان يفكر به ويبدأ به أحد ابرز ملامحه التي سجل بها خلـق الكون • « حينما في العلى لم ينبأ عن السماء وفي الاسفل لم تذكر الارض بأسـم » من هنا انطلق واستطاع عبر سعيه ان يتوصل الى ذلك التوازن الرائع بين حاجته على الارض وبين ضرورات السماء هذا التوازن الذي بلغ قمته في اعتماده اداة وموضوعا للخطاب الالهي كما عبرت عنه الرسالات السماوية فيما بعد •

يقودنا هذا التتبع الى كشف عنصر آخر ساهم في تأصيل الحضـارة ذلك العنصـر هو قدرة سكان وادي الرافديـن على التكتل والانتظام في جماعات وبالتالي رضا الفرد بالعمل الجماعي مع الاحتفاظ بحقه في الابداع الفردي بعدما ادرك ان الاعمال الكبيرة ليست من قدرات الفرد انما مـن اختصاص الجماعات • والواقع ان هـذا الادرك يقف وراء ظهور الادارة الجماعية اولا ، ووراء ظهور فكرة الدولة الحضارية التي قطعت مسـيرة الاتساع من أول شكل من أشكال وحـدة التنظيم الاجتماعي الى دولـة المدينة الى الدولة المركزية الى الدولة القومية التي تحققت على يد الرسول القائد محمد بن عبدالله (ص) • ان هذا الاتساع يكشف لنا ان الحضارة

في العراق يعقبها ظهور دولة تشكل احدى الضرورات العضوية لها • ان تواصل الدور الحضاري من جهة وتعاقب اشكال التعبير عنه ماديا في مجال الدولة خاصة من جهة ثانية ساعدا على أرساء اسس الخصائص والسمات المميزة لسكان وادي الرافدين ، وأكسبا هذا الاقليم ثابتية تاريخية مطلقة في كل العصور •

ساعد نجاح الانسان العراقي في احكام التوازن بين حريته الفردية في الابداع وبين ضرورة العيش في جماعة على تطوير نظرته الى الاخرين ، الى الجماعات التي تقع خارج الوطن الحضاري « الوطن العربي » خاصة ، تلك النظرة التي ارتكزت الى احساس بمسؤولية الرائد الحضاري اتجاه الاخرين والتي تبلورت في شكل قاعدة ثابتة « المسؤولية الانسانية » • ان مواكبة صيغ التفاعل بين حضارة العراق والحضارات الاخرى تفصح عن نمو هذه النظرة يوم لم تكن اقوام اخرى بلغت في تطورها هذا المستوى من النضج ولعل نهاية بابل على يد الفرس الاخمينيين واحدة من صور موقف الحضارة ازاء العنصرية ، ان صورة اخرى لهذا نجدها في نظرة جاحدة سادت اوربا في عصرها الحديث الى حضارة العراق وحضارات العالم • ان هذا الاحساس بالمسؤولية الانسانية هو الذي اعطى حضارة العراق مزية الانتشار تأثيرا دون ان تغرق في نشوة الانتصار وتخفي تأثرها بحضارات الشعوب خاصة عندما اكتشفت فيها الشعوب قابلية التكيف لتلائم حاجاتها ، فصناع هذه الحضارة كانوا مهتمين بتحقيق انتصار تأريخي دائم يعبّر عنه في استمرار الدور اكثر من ان يعبر عنه بالتفوق العرقي • فالاحساس بأن تكون صاحب رسالة عبر التاريخ اكبر بكثير من ان تكون سيدا مضطهداً لفترة قصيرة •

ان اهداف هذه الموسوعة كثيرة غير ان ابرزها الهدف الدائم المستقبلي ، وهو تكوين ثقافة اجتماعية تخلق وعيا اجتماعيا سليما لمرحلة انبعاث حضاري جديد للامة العربية يقوده العراق تلوح تباشيره عبر سنوات الحفز الجديد التي بدأت بفجر تموز ١٩٦٨ .

* * *

الفصل الأول

# البيئة الطبيعية والانسان

د . تقي الدباغ

استاذ الاثار القديمة ـ جامعة بغداد

## الاسم

عُرف هذا القطر بعدة اسماء خلال تاريخه الطويل ويجدر بنا ان نذكر بعض الملاحظات عنها قبل عرض وصف المزايا الطبيعية للبيئة .

ففيما يتعلق بكلمة « عراق » اختلف الباحثون في الاصل والمعنى وهناك ثلاثة اراء يقدم اصحابها اصلاً ومعنىً يختلف عما يراه اصحاب الرأي الاخر . ويعتقد البعض ان كلمة « عراق » عربية الاصل ومعناها الشاطىء فالبلاد القريبة من البحر هي عراق وهي كذلك لانها على شاطىء دجلة والفرات ، ومعناها ايضا الجبل او سفوح الجبل . ويرى آخرون ان كلمة عراق ترجع في اصلها الى لغة قديمة اما ان تكون سومرية او من قوم آخرين غير السومريين وغير الجزريين ( الساميين ) الذين استوطنوا السهل الرسوبي في عصور قبل التاريخ . ويرى اصحاب هذا الرأي ان الكلمة مشتقة من كلمة اوروك او انوك التي تعني المستوطن . وهذه الكلمة

سميت بها المدينة السومرية المشهورة الوركاء • كما ان الكلمة نفسها تدخل في تركيب اسماء عدة مدن قديمة مشهورة اخرى مثل مدينة اور • اما اصحاب الرأي الثالث فيقولون ان اصل هذه الكلمة اجنبي وتعني ايراء بمعنى الساحل وقد عربت الى ايراق ثم عراق • وشبيه بهذا ما ذهب اليه الباحث الاثاري هرتسفلد من ان عراق معرب من ايراك التي تعني البلاد السفلى • ويقال ان اول استعمال لكلمة عراق ورد في العهد الكشي في وثيقة ترجع في تاريخها الى حدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد وجاء فيها اسم اقليم على هيئة اريقا الذي صار على مايرى اولمستد الاصل العربي لبلاد بابل • واوضح استعمال شاع لمصطلح عراق بدأ ما بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين •

والعراقيون القدماء لم يطلقوا مصطلح اورك او عراق على القطر او على جزء منه بل كان ملوكهم في عصر فجر السلالات يلقب كل منهم نفسه بلقب حاكم المدينة التي يحكمها • وفي حدود ذلك الزمن ظهر مصطلحان احدهما بلاد سومر للقسم الجنوبي من السهل الرسوبي والثاني بلاد اكد للقسم الاوسط من ذلك السهل • وظهرت تسميات جغرافية سياسية اخرى منها بلاد بابل وبلاد اشور • واستعمل عدد من الكتاب اليونان والرومان واولهم هيرودوتس مصطلح بلاد بابل واشور لاطلاقه على القطر كله او على الاجزاء الوسطى والجنوبية منه كما استعملوا تسمية كالديه نسبة الى الكلدانيين الاراميين الذين اسسوا الدولة الكلدية ما بين القرن السابع والسادس قبل الميلاد • وفي الفترة مابين القرن الرابع والثاني قبل الميلاد ظهر استعمال الكتاب اليونان والرومان لمصطلح ميزه بوتامية ( بلاد مابين النهرين ) وهذه التسمية هي اغريقية الاصل وشاع استعمالها عند الكتاب الاوربيين لاطلاقها على هذه البلاد كلها او على بعضها ولا يزال يستعمل حتى بعد شيوع استعمال تسمية العراق • ولعل

اقدم استعمال لمصطلح ميزوبوتاميا ورد في كتاب المؤرخ الشهير بوليبوس في القرن الثاني قبل الميلاد والمؤرخ الشهير سترابو في القرن الاول قبل الميلاد لاطلاقه على الجزء المحصور مابين دجلة والفرات من الشمال الى حدود بغداد تقريبا .

وشاع استعمال هذا المصطلح الجغرافي بعد ذلك في اللغات الاوربية بعد ترجمة التوراة الى اليونانية واللغات الاوربية اذ جاء في التوراة ( التكوين ، اصحاح ٢٤ : ١٠ ) ذكر الاقليم ارام نهرايم الذي يعني ارام النهرين اي بلاد مابين النهرين للدلالة على الاقليم المحصور بين نهري الفرات والخابور او نهري الخابور والباليخ او كلا هذين النهرين مع الفرات . ومهما يكن من امر فانه لما ترجمت التوراة الى اليونانية ترجم مصطلح ارام نهرايم بكلمة ميزوبوتامية اليونانية ثم دخل هذا المصطلح الى اللغات الاوربية واتسع مدلوله من اطلاقه على القسم الشمالي من بلاد الرافدين الى اطلاقه على القطر العراقي كله .

ولما شاعت كلمة عراق مابين القرنين الخامس والسادس الميلاديين تطورت في الاستعمال واتسع مدلولها عند الجغرافيين العرب فقد كثر ذكر اسم العراق في الشعر الجاهلي واقترن بالرخاء . واطلق العرب ايضا على بلاد الرافدين الشمالية اسم الجزيرة واطلقوا اسم العراق على الاقسام الوسطى والجنوبية مما يسمى الان عراقا كما سموا السهل الرسوبي بالسواد لخضرته وكان مصطلح السواد يرادف تسمية العراق في كثير من الاستعمالات كما سموه بلاد بابل او ارض بابل . وهذا المصطلح ظل متوارثا منذ العهد البابلي القديم في الالف الثاني قبل الميلاد . وصار مدلول العراق يتسع في استعمال البلدانيين العرب حتى صار يشمل العراق الحالي تقريبا . وتبلورت حدود العراق الحالية بوجه خاص في العهد العثماني في القرن التاسع عشر وفي فترة الاحتلال البريطاني .

# الموقـــع

على البأحث في حضارة اي قطر ان يدخل في حسابه اثـر العوامـل الجغرافية في الحضارة لان الحضارة هي نتاج تفاعل الانسان مـع البيئـة الطبيعية لترويضها وتسخيرها له واسـتغلال امكاناتهـا • لا ريب في ان للانسان الدور الرئيسي في تكوين الحضارة ولكن الى جانب هـذه الحقيقة يجب ان لا يهمل دور عوامل البيئة الطبيعية لأنها تؤثر في الحوادث التاريخية وتكسب الحضـارة طابعا مميـزا وخاصـا بكل قطر ولهـذا سـنتناول فـي هـذا الفصـل ابـرز خصائصـن البيئـة الطبيعيـة فـي القطـر العـراقي وفي تطـور حضارتـه وطبعهـا بالطابع العـام المميـز لهـا • وبعبارة اخرى سيكون موضوع هذا الفصل ضمن اطار الجغرافية التاريخية كالتغييرات المهمة في بيئته الطبيعية مثل الموقع الطبيعي وتركيب السـكان والمناخ والتضاريس الطبيعية والنبات الطبيعي والانهار وتبـدل مجاريهـا وغير ذلك من العوامل الجغرافية مع ابراز تأثيرها في حياة الانسان والتركيز على دور الانسان في التعامل معها واستغلالها للاستفادة منها •

فلقد كان لموضع العراق الجغرافي اثر مهم في سير تاريخه سواء كـان ذلك من حيث الحياة الاقتصادية بوجه عام ام من حيث اهميته العسكرية ام من ناحية تركيب سكانه واتصالاته بالاقطار الاخرى والاقوام المجـاورة الى غير ذلك مما للمـوقع الطبيعي من نتائـج مؤثـرة في سـير التاريخ والحضارة • فللعراق مكانة مهمة في تاريخه القديم والحديث ليس لكونـه مهد الحضارة البشرية فقط بل لانه غني في ثروتـه الطبيعيـة ولاهميتـه العسكرية التي تجعل منه مشرفا على القسم الشرقي من الشـرق الاوسط • وهذا الجزء من الشرق مهم في موقعه لانه يقع على الجسر الارضي الـذي تلتقي فيه ثلاث قارات هي اوربا واسيا وافريقية • وكان هذا القطر خلال العصور التاريخية القديمة طريقا مهما يصل الامم الغربية بالامم الشـرقية

واستمر كذلك طيلة العصور الوسطى والحديثة تقريبا حيث كان ملتقى طرق القوافل التجارية للاتصال بين البحر المتوسط والمحيط الهندي والهند واقطار الشرق الاقصى بالطرق البرية ثم بواسطة الخليج العربي والمحيط الهندي ولكن هذه الاهمية ضعفت بعد تحول الطرق التجارية البحرية العالمية على اثر اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في القرن السادس عشر وفتح قناة السويس في القرن التاسع عشر حيث صار الاتصال التجاري مباشرة بالهند وجنوب شرق اسيا بدون الخليج العربي • ومع ذلك احتفظ جنوب العراق باهميته لان كل طرق المواصلات الجوية تتجمع في رأس الخليج العربي ولان المنطقة الواقعة في الشمال الشرقي من الخليج جبلية وعرة ولان اقصر الطرق الجوية الذي يوصل غرب اوربا بالهند والشرق الاقصى يمر منه •

ولموقع العراق أثر مهم في تركيب سكانه فهو يقع بين منطقتين تقل فيهما الموارد الطبيعية اذ تحده من الشمال والشمال الشرقي مناطق جبلية ومن الغرب والجنوب الغربي مناطق صحراوية فقيرة في مواردها الزراعية والمائية • وهذه المناطق الصحراوية هي جزء من شبه الجزيرة العربية في اقسامها الشمالية والشمالية الغربية اي بادية الشام • ومما لا شك فيه ان هذه الظاهرة هي التي جعلت البدو العرب يسمون سهل العراق الجنوبي بالسواد لخضرته مما جعله محط الانظار وهجرات الاقوام من المنطقتين المجاورتين التي تقل موارد العيش فيهما • وعلى ضوء ذلك ينبغي للمؤرخ ان ينظر الى سكان العراق •

فمن شبه الجزيرة العربية والبوادي الشمالية الغربية نزحت الى العراق في مختلف عصور التاريخ عدة اقوام كانت اخرها القبائل العربية التي يرجع الى اصولها القسم الاعظم من سكان العراق الآن • ومن الاقاليم الشرقية والشمالية الشرقية وفدت على العراق اقوام عديدة من اصول

هندية اوربية • ولقد انتشرت من شبه الجزيرة العربية منذ ازمان مختلفة اقوام على هيئة هجرات استوطنت في اطراف شبه الجزيرة ومنها بوادي الشام والعراق الغربية والعليا والفرات الاعلى وكانت تلك الاقوام تتغلغل الى المناطق الخصبة مثل وادي الرافدين وسورية وفلسطين والاردن ولبنان وحتى وادي النيل حيث دخلت جماعة جزرية منذ عصور قبل التاريخ في تركيب سكانه •

وبالنسبة الى وادي الرافدين لم ينقطع تسرب الاقوام المتاخمة له من جهاته الغربية عبر الفرات بل استمر الى العصور الحديثة وكان للفتوح العربية الاسلامية منذ القرن السابع الميلادي لاقطار الهلال الخصيب وشمال افريقية الاثر الحاسم النهائي في تركيب سكان هذه الرقعة الجغرافية الشاسعة بجعل غالبية سكانها من العرب • ففي وادي الرافدين قامت من هؤلاء الجزريين في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد الدولة الاكدية المشهورة نسبة الى العاصمة اكد فاطلق اسم الاكديين واللغة الاكدية على الجزريين الشرقيين • واشتهرت من الجزريين الغربيين القبائل الامورية وهم الكنعانيون الشرقيون في وادي الرافدين وبلاد الشام والكنعانيون الغربيون ومنهم الفينيقيون في سورية وفلسطين ما بين الالفين الثالث والثاني قبل الميلاد • واسس الاموريون في العراق دولا كثيرة في فترتين من هجراتهم كانت اولاهما في اواخر الالف الثالث قبل الميلاد ونتج عنها تحطيم امبراطورية اور واقامة عدة دويلات على انقاضها • واعقبتها بعد مائة عام هجرة امورية ثانية قامت منها عدة دويلات اشهرها سلالة بابل الاولى ( ١٨٩٤ ــ ١٥٩٥ قبل الميلاد ) التي اشتهرت بملكها السادس حمورابي ( ١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ قبل الميلاد ) كما استوطنت جماعة منهم في منطقة ماري ( تل الحريري بالقرب من البو كمال ) على الفرات في نهاية الالف الثالث

قبل الميلاد وقامت فيها سلالة حاكمة مستقلة في العهد البابلي القديم وامتدت سلطتها على طول نهر الفرات والخابور وشملت منطقة عانة (خانة القديمة) . وقد اثرت هجرات الاموريين على تسوير مدن السومريين ومنها مدينة اور ضد الغزاة . وكانت عادة تسوير المدن في العراق قد بدأت قبل ذلك بزمن طويل . وانتشرت القبائل الاشورية في شمال العراق في الالف الثالث قبل الميلاد واسست دولة امتدت رقعتها لتشمل كثيرا من المناطق المجاورة واستمر حكمها حتى عام ٦١٢ قبل الميلاد . وانتشرت القبائل الارامية في كثير من مناطق الهلال الخصيب مابين القرن الرابع عشر والثاني عشر قبل الميلاد في بلاد الشام وفي جزيرة وادي الرافدين وقامت منها عدة دويلات ولكنها دخلت في صراع شديد مع الاشوريين حال دون قيام دولة كبرى لها . وتدفقت القبائل الارامية ايضا الى وادي الفرات الاعلى والاسفل وقامت لها عدة دويلات آخرها واشهرها دولة بابل الحديثة التي اشتهرت بملكها نبوخذ نصر الثاني . وانتشرت القبائل العربية منذ الالف الاول قبل الميلاد الى وادي الرافدين واخذ اسم العرب يظهر في أخبار الملوك الاشوريين في حروبهم مع بعض تلك القبائل في بوادي الشام والعراق وشمالي الحجاز . ووفدت على العراق قبائل عربية قبل الاسلام مابين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن السادس الميلادي . وتعد الفتوح العربية الاسلامية منذ القرن السابع الميلادي من جملة الموجات العربية التي نتج عنها التركيب الحالي لغالبية سكان العراق والبلاد العربية الاخرى .

واتصل سكان وادي الرافدين منذ اقدم عصور التاريخ بعدة اقوام من خارج القطر عن طريق التجارة او الاسفار او الفتوح فاثرت فيهم حضارة وادي الرافدين كما اثروا فيها وتغلغل البعض منهم الى موطن هذه الحضارة فدخلوا في تركيب سكان العراق القديم واستوطنت جماعات اخرى في مناطق العراق الشمالية في الاقسام الجبلية مثل الكوتيين

واللولوبيين والميديين الذين يرجح ان يكون الاكراد منهم وكذلك الكشيين والحوريين . واستوطن الاخيرون شمال العراق في نوزي (يورغان تبه بالقرب من كركوك) وفي تبه كورا وتل بلا بالقرب من الموصل .

## المناخ

في العصور الحجرية القديمة كانت احوال المناخ وطبيعة الارض والنبات الطبيعي تختلف اختلافا اساسيا عما هي عليه الان اذ ان تلك العصور الحجرية تقع في العصر الجيولوجي المعروف بعصر الجليد ( البلايستوسين ) الذي شهد تقدم الجليد اربع مرات في المناطق الشمالية من قارة اوربا وامريكا الشمالية حتى خط عرض ٤٥ درجة شمالا . وقد بدأ هذا العصر قبل مليونى سنة وانتهى قبل ١٦٠٠٠ سنة . وقد تخللت عصور الجليد الاربعة فترات من الدفء والجفاف النسبي . اما المناطق الواقعة في الاقسام الجنوبية من نصف الكرة الشمالي مثل العراق واقطار الشرق الادنى الاخرى فكانت تحدث فيها ابان العصور الجليدية الاوربية عصور ممطرة تسقط اثناءها امطار غزيرة في حين كانت فترات الدفء والجفاف النسبي الاوربية تقابلها في هذه المناطق الشرقية فترات يسودها الجفاف . ونحن نعيش الان في فترة الجفاف التي تلت آخر عصر جليدي . وكانت كميات الامطار الساقطة في العصور الممطرة تبلغ من الغزارة درجة كبيرة حتى انها جعلت من المناطق الصحراوية في شبه الجزيرة العربية وافريقية مناطق خضراء تجري فيها الانهار والجداول التي لاتزال اثارها واضحة للعيان وتسرح فيها حيوانات الصيد وينتشر النبات الطبيعي متمثلا بالغابات والشجيرات والحشائش . واستطاع انسان العصر الحجري القديم ان يعيش في تلك المروج الخضراء حيث ترك الاته وادواته .

وكان العراق اثناء العصور الجليدية اكثر رطوبة مما هو عليه الآن لان الامطار كانت اكثر غزارة وتسقط في فصل الصيف وفصل الشتاء . ويظهر ان العراق شهد اربعة عصور مطيرة وان العصر الاول بدأ في اواخر عصر البلايوسين واستمر حتى بداية انتشار جليد كنز ( احد وديان جبال الالب التي تراكمت فيه ما جرفه الجليد ) في اوربا في عصر الجليد . اما قمم الجبال الشمالية والشمالية الشرقية فقد احتفظت ببرودتها اذ كانت مغطاة على الدوام بجليد ثخين . وقد وجدت مخلفات انسان العصر الحجري القديم بدوريه في عدة كهوف في المنطقة الجبلية بشمال العراق منها كهفان قرب مدينة السليمانية هما كهف هزار مرد وكهف زرزي ومنها موقع بردا بالكة قرب بلدة جمجمال وكهف شاندر وكهف بالي كورا في محافظة اربيل وكهف كيوانيان في منطقة راوندوز . ففي هذه المناطق عاش انسان نياندرتال والانسان العاقل على صيد الحيوانات البرية كالغزلان والوعول والخيول والخنازير والثيران والخراف والماعز وعلى صيد الاسماك والطيور والتقاط وجمع ثمار وبذور وجذور النباتات الطبيعية . والدليل على ذلك بقايا عظام تلك الحيوانات والالات الحجرية التي استخدمت في صيدها والتي استخرجها المنقبون الاثاريون في تلك الكهوف اثناء التنقيبات الاثرية وبدليل الهياكل العظمية البشرية التي وجدت في كهوف هؤلاء الصيادين .

ومن ابرز آثار العصور المطيرة والجافة في العراق مدرجات او ضفاف الانهار القديمة ففي العصور المطيرة كثرت كميات المياه التي انسابت الى الانهار فاتسع مجراها وارتفعت ضفافها وفي فترات الجفاف قلت مياهها وصغرت سعتها وانخفضت ضفافها . وقد كشفت التحريات الجيولوجية في حوض نهر دجلة في منطقة سامراء ــ بلد وفي بعض الاودية في شمال العراق مثل وادي سنكه سرعن وجود ما لا يقل عن ثلاثة مدرجات او ضفاف جيولوجية . وقد ظن البعض ان احد هذه المدرجات القريبة من مدينة بلد

هو بقايا ساحل الخليج العربي القديم • وكشفت التحريات الجيولوجية ايضا عن خمسة من هذه المدرجات في منطقة طاووق وعن اربعة في منطقة راوندوز • اما نهر الفرات فلم تدرس مدرجاته بعد غير ان بعضها على هيئة جزر بالقرب من الفلوجة والاسكندرية •

وكان لكميات المياه الكثيرة التي انسابت الى الانهار في العصور المطيرة تاثير على تكوين السهل الرسوبي بما حملته الانهار من رواسب الغرين والطمى الى المنخفض الذي تكون فيه هذا السهل •

وكان لظاهرة العصور المطيرة والفترات الجافة اثر مهم في نشوء الحضارة الاولى ذلك لان حلول فترة الجفاف العامة الاخيرة في ربوع الشرق الادنى جعل من المتعذر اعتماد الانسان في قوته على صيد الحيوان وجمع ثمار وبذور النبات مما كان سائدا في العصر الحجري القديم فاهتدى الانسان في اقطار الشرق الادنى ولا سيما في شمال العراق الى انتاج الطعام بواسطة الزراعة وتدجين الحيوان ويمثل موقع كريم شهر القريب من جمجمال وملفعات بين اربيل والموصل وزاوي جمي القريب من كهف شاندر المرحلة الاولى في هذا التحول لانه لا توجد ادلة قاطعة على ممارسة الزراعة فيها وقد تكون هذه الاماكن مواقع اختلط فيها الصيد بالزراعة التجريبية المحدودة •

اما موقع جرمو شرقي كركوك فيزودنا بدلائل لقرية دائمية مثل الحبوب الزراعية وادوات الحصاد وطحن الحبوب ومخازن المحاصيل وعظام الحيوانات المدجنة والبيوت القروية المشيدة والاواني الفخارية • ومثل ذلك يقال عن قرية حسونة ومطارة وام الدباغية وشمشارة ويارم تبه والاربجية وغيرها من القرى التي تقع في منطقة السهوب حيث كانت الامطار كافية لقيام زراعة ديمية فيها حتى بعد حلول فترة الجفاف لان الجفاف لم يحل فجأة